سنة أولى ثورة

كلمة «مطلوب»، تجاورها أيقونات بصرية تخلد شهداء الثورة مينا دانيال أو الشيخ عماد عفت. ولم ينس فنانو الغرافيتي إضفاء سمة كاريكاتورية على أعمالهم، من خلال إظهار أيقونات للنجمة الراحلة هند رستم، وتحتها كلمة «كده برضه يا سونة يا خاين» في سخرية من مرافعة محامي مبارك خلال محاكمته. وبالمثل، ثمة أيقونات أخرى للممثل توفيق الدقن، مذيلة بعبارته الشهيرة «أحلى من الشرف مفيش»، والهدف دوماً السخرية من وعود المجلس العسكري.

لكن عمل فناني الغرافيتي لم يكن سهلاً. عملية محو الأثر مستمرة. رجال الأمن والبلديات جربوا أكثر من مرة القبض على بعض هؤلاء الفنانين ومطاردتهم، فسُجن علي الحلبي لأيام، وأُلقي القبض على «جنزير»، أشهر فنان غرافيتي في مصر اليوم. غير أن كل تلك الأفعال لم تبطل فكرة المواجهة الصادمة في هذا الفعل الفني، الذي يتجلى هذه الأيام من خلال أسبوع أطلق عليه منظموه تسمية «أسبوع الغرافيتي العنيف».

في المقابل، لم توقف أجهزة الدولة البوليسية عمليات «محو الأثر» التي تعيشها الشوارع، وهي تتعرض يومياً لعملية محو رهيبة لآثار الثورة. باسم التنظيف، تبدأ «الإزالة». وبزعم التجميل، بدأت عملية الاعتداء على التاريخ الجديد. حتى إن كثيرين رأوا أن دعاوى تطوير ميدان التحرير كانت اعتداءً شخصياً على المخيلة.

في تفسيره لظاهرة «الغرافيتي»، يفرّق التشكيلي محمد عبلة بين عمل فنان الغرافيتي في العالم العربي وعمله في الغرب. هناك، يحتجّ الفنان عبر تشويه الجمال البارد ومواجهة الزيف والتنميط. وبالتالي، فهو عمل ثوري من وجهة نظر صاحبه. أما «في عالمنا العربي، فالكثير من الشوارع لا تحتاج الى التشوهات، فهي مشوهة بما يكفي. وفي أحيان كثيرة، يأتي الغرافيتي ليجمّلها ويخفّف من قبحها. وبالتالي، يفقد هذا الفن الكثير من قيمته الدلالية. وبالتالي لم يعدّه بعض الفنانين «ممارسة ثورية»، ولا سيما أنّ أحداث الثورة خلّفت مشاهد حية كانت أقوى من الغرافيتي الذي وثّقها وأرّخ لها».

فنان آخر من جيل أصغر هو عمرو الكفراوي. المصمم الغرافيكي يحذر من الخلط بين نبل الأهداف التي تقف وراء طموح الفنانين وطبيعة الإنتاج الفني. ويرى أنّ تلك المبادرات ينقصها الدور المؤسسي، الذي يسهم في بلورتها. الدور المؤسسي الذي صنعته الدولة على مدى 30 عاماً، أسهم ـ كما يرى الكفراوي ـ في إعلاء قيم سطحية وتقديمها باعتبارها الفن الرسمي. وبالتالي من الواجب إعادة النظر فيه وتصويبه. «كما أنّ من الواجب أيضاً مراجعة موقفنا من الأعمال التي أنتجت بدعوى مناصرة الثورة، وتحوي قدراً من المباشرة التي تنعكس سلباً على جماليات العمل الفني مستقبلاً»، وكما يؤكد الكفراوي، فإنّ خلق أعمال فنية تعبّر عن الأحداث المفصليّة في تواريخ الشعوب، يحتاج الى فترات زمنية طويلة من البحث والتحليل والتأمل. وأخيراً، فإنّ دور الفنانين في تلك المرحلة يحتاج في الأساس إلى محاربة الأفكار القديمة الرثة، ومحاولة تحريك الساكن داخل النظام نفسه، تمهيداً لمرحلة جديدة تستوعب الفنون الملهمة والمعاصرة لتكون أداة ضمن أدوات التقدم والتنوير.

من فيلم «18 يوم»

خاضت في «ثورة يناير» جاءت جماعية أيضاً، وحملت عنوان «18 يوم». تشبه صيغة الفيلم شريط «11 سبتمبر» (2002) الذي تولّى إنجاز أجزائه 12 مخرجاً حول العالم، منهم يوسف شاهين، وشون بن، وكين لوتش، وسميرة مخملباف. اجتمع في «18 يوم» عشرة مخرجين، هم شريف عرفة، وكاملة أبو ذكرى، ومروان حامد، ومحمد علي، وشريف البنداري، وخالد مرعي، وأحمد عبد الله، ويسري نصر الله، ومريم أبو عوف، وأحمد علاء. تفاوتت جودة الأعمال وأصالتها، لتجتمع حول تقديم سرد موازٍ لأحداث «25 يناير» امتدّ أكثر من 125 دقيقة.

يبدأ «18 يوم» مع «احتباس» (شريف عرفة) الذي يصوّر مستشفى للأمراض العقليّة، كاختزال للوطن. ينتقل بعده إلى «خلقة ربنا» (كاملة أبو ذكرى) حول بائعة شاي، تشارك في الثورة، وتفكر إن كان ربّها سيسامحها لأنّها صبغت شعرها. يحكي « 3- 19-19» (مروان حامد) التعذيب في سجون أمن الدولة، ويضيء «الطوفان» (محمد علي) على شريحة لم تمثّل لها الثورة، إلا مصدراً لكسب لقمة العيش، من خلال بيع أعلام مصر للمتظاهرين تارةً، وبيع صور حسني مبارك لتظاهرات التأييد. ويصوّر «حظر تجوّل» (شريف البنداري) جَدّاً وحفيده في السويس. وكلّ ما يتطلّع إليه الحفيد أن يتصوّر إلى جانب دبابة. يراهن سادس الأفلام «كحك الثورة» (خالد مرعي) على أحمد حلمي، في دور خيّاط يبقى حبيس محله ولا يدرك شيئاً مما يدور حوله. سيخضع الأمر لتأويلاته، في مونولوج طويل يسجله على أشرطة كاسيت. يركّز «تحرير 2/ 2» (مريم أبو عوف) على البلطجية الذين ضربوا المتظاهرين، وهم يقبضون على فلوس مضمّخة بالدماء... في «شباك» (أحمد عبد الله)، شاب اكتفى بمشاهدة الثورة عبر الشاشة، وفي «داخلي/ خارجي» (يسري نصر الله) ترى منى زواجها مهدداً بسبب مشاركتها في الثورة. إلى أن نصل إلى «أشرف سبريتو» (أحمد علاء) الذي حوّل محل الحلاقة إلى مستشفى ميداني.

أفلام كثيرة صورت «25 يناير»، وهناك الكثير من المواد المصوّرة الخاصّة والأرشيفية التي تعدنا بعشرات الأفلام. بينما يجري الحديث روائياً عن فيلم لإبراهيم البطوط بعنوان «مثل الثورة» من بطولة وإنتاج عمرو واكد، فيما انتهى يسري نصر الله من فيلمه «ريم وفاطمة ومحمود» الذي يضيء على موقعة الجمل الشهيرة.

وبالأمس، تقدّم يوسف وفداً من الفنانين المصريين، مطالباً البرلمان المنتخب بتمثيل أهل الإبداع في لجنة صياغة الدستور. كما يستعدّ صاحب «كفّ القمر» لإنجاز فيلم مقتبس عن رواية «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ.

بصمات

■ بعد الثورة، ترك المصمّم والرسام المصري وظيفته، كي يرسم مع شباب التحرير في الميادين والشوارع شعارات الثورة، ووجوه شهدائها. ابتكر **جنزير** مع رفاقه، تظاهرة الغرافيتي العنيف، محوّلين رسومات الـ«ستريت آرت» إلى عمل جماعي، ينجزه الثائر،

وبائع العيش، والطالب، والعامل... أبرز إنجازاته عمله الشهير «قناع الحريّة» الذي تحوّل إلى واحدة من أيقونات الثورة ضدّ القمع العسكري المتواصل.

■ «جيل أبوك كان يعني حاجة/ وجيلك إنت حيبقى حاجة/ (...) وبكرة لما قمركم يطلع/ والشمس تسطع فوق كل حاجة/ حتقولو كان في المكان دا ناس/ فيهم طيابة وفيهم حماس»، كتب محمد فؤاد نجم يوماً لإبنته. إنها **نوّارة نجم**، الناشطة والمدوّنة والصحافيّة المصريّة التي نزلت ميدان التحرير، لتحقق نبوءة والدها الشاعر، رفيق درب الشيخ إمام. بصوتها الصادق والحازم، تحوّلت نوّارة نجم

إلى واحدة من أبرز قادة الثورة. ابنة صافي ناز كاظم شغلت الناس، من خلال تدويناتها الغاضبة على «جبهة التهييس الشعبيّة». هذا ما تواصل فعله، إذ تعرّضت قبل أيام للضرب على يد أنصار المجلس العسكري أمام مبنى ماسبيرو.

■ تلميذ يوسف شاهين، كان أوّل الفنانين المصريين الذين نزلوا إلى الشارع. لم يتردّد **خالد يوسف** منذ اليوم الأوّل للثورة في إعلان مواقفه الصريحة المناهضة لنظام مبارك، في وقت فضّل فنانون آخرون البقاء في المنطقة الرماديّة. نزل السينمائي المصري إلى ميدان التحرير مع شباب الثورة، وأطلّ في وسائل الإعلام، ليعلن مطالب الشعب المشروعة.